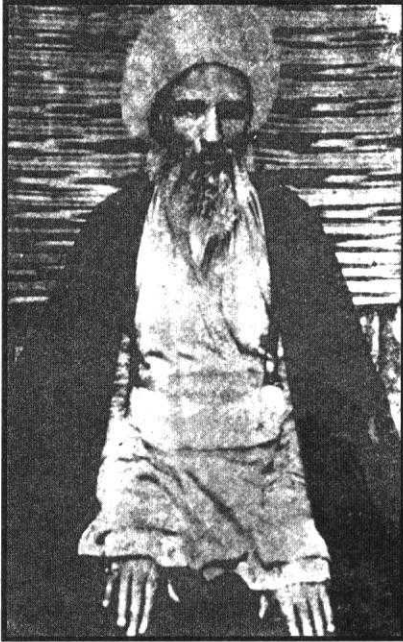


بين مرجع شيوعي ومستشرق بريطاني

بين المستشرق الإنجليزي إدوارد براون (١٨٦٢-١٨٢٦م)
والآخوند الملا محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ)



الشيخ محمد كاظم الخراساني

لقد تم تبادل هاتين الرسالتين بين المستشرق الإنجليزي إدوارد براون (١٨٦٢-١٨٢٦م) والآخوند الملا محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ) في عام ١٣٢٩، وهذان الشخصان غنيان عن التعريف في دورهما في استقرار المشروطة في إيران، وأصل هاتين الرسالتين موجود ضمن مجموعة لمخطوطات المشاهير، يحتفظ بها الدكتور قاسم غني، وقد كتب براون رسالته بيده، بينما كتب الآخوند الميرزا عبد الرسول اليزدي ووقع الآخوند في ذيلها. عنوان الرسالة التي بعث بها براون إلى النجف الأشرف: "سري، تصل في النجف الأشرف إلى صاحب الشرف حضرة حجة الله السيد الملا محمد كاظم الخراساني بواسطة السيد الميرزا عبد الرسول اليزدي".

وفيما يلي نذكر نص رسالة إدوارد براون دون أدنى تصرف في إملائها أو إنشائها: "٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩ من دار الفنون في كمبرج في الممالك البريطانية المحروسة. حجة الإسلام: إن الرسالة التي بعثم إلينا، جواباً على ملاحظاتي التي أبديتها فيما يتعلق بالحق السياسي للدولتين الإنجليزية والروسية، قد أبلغت السيد عبد الرسول اليزدي بشأن

وصولها، ولم أشأ حينئذ أن أزاحم أوقاتكم المباركة، لهذا رجعت السكوت، حتى استلمت هذه الأيام رسالة أخرى وكانت مدعاة شرف وافتخار، ولأنكم تفضلتم بطلب المراسلة بين حين وآخر، فإني أمتثل لأمركم العالي، وأتجرأ عبئاً تسطير هذه الكلمات.

في البداية أرى لزاماً علي أن أهنئكم لحسن تدبيركم الذي كان — دون ريب — سبباً لنجاة فارس والأجزاء الجنوبية لإيران من تدخل الأجنبي، إذ مضى على رسالة التحذير التي بعثتم بها ثلاثة أسابيع بل سبعة أسابيع، وباعتراف الجميع فإن التفكير بالاستيلاء على فارس خاصة وسائر الولايات الجنوبية بصورة عامة قد زال تماماً وحصلت نعمة الأمن والاستقرار، وانقطع الحديث عن التدخل. والأمر الآخر، هو أن مساعيكم ومساعي سائر العلماء الكبار كانت سبباً في تحريض جميع المسلمين وخصوصاً مسلمي الهند في الانطلاق بشكاوهم ومطالبتهم بإقرار العدل وحدث مثل هذا الأمر حتى في لندن نفسها.

ولأن الحكومة هنا ترغب كثيراً باسترضاء مسلمي الهند والتودد لهم، فإنها عكفت عن التفكير فيما عزمت عليه بادئ الأمر، ولكن على الرغم من وجود هذا التطور، لا ينبغي الركون إلى الغفلة عما بعث به المسافرون والمخبرون عما يدور بين قبائل الجنوب وخصوصاً بين البختياريين والقاشقائيين، وأن العلاقة بينهم غير مستحسنة، وأيضاً كون هذه العداءات والمنافسات تشكل خطراً عظيماً على مصالح الدولة العلية في إيران. وفي تقرير رسمي، طبعته ونشرته الحكومة الإنجليزية مؤخراً — سأبعث به إلى حضرتكم عن طريق السيد عبد الرسول اليزدي حالما يصل إلي — يبدو أن أكثر هذه القبائل نشاطاً في الفتنة والغارات هي قبيلة كوه كيلويه وخصوصاً الشعبة المسماة بـ (أحمد بويد) ومن الواضح جداً، أنه كلما أغير على قوافل التجار لا سيما إذا قتل بعضهم في هذه الغارات، فإن هؤلاء التجار يتعالى صياحهم ويتقدمون بشكاوهم إلى الحكومة مطالبين بالتدخل، بينما إذا لم تكن مثل هذه الذرائع موجودة، فليس هناك ذريعة للتدخل.

وفي رأيي، فإن الحكومة هنا منشغلة بالإصلاحات الداخلية ولا تحبذ التعرض لمثل هذا العمل المفعم بالمخاطر، ما لم يرغبها عليه إلحاح التجار. وفي الحقيقة فإن هناك الكثير من الأشخاص المقتدرين الذين لا يرون سوى أغراضهم الشخصية وحب الجاه والمال والقوة والشهرة، مثل: جنكيز خان وتيمور وسائر السلاطين الأقوياء الذين كانوا يدأبون في سعيهم بالاستيلاء على الآخرين والتعرض لهم وكانوا باستمرار يبحثون عن ذريعة لأعمالهم، كما كان السبب الرئيسي في استيلاء المغول والتتار على إيران في القرن السابع وما رافقه من مصائب ومآسي هو قتل بعض التجار المغول بيد خوارزمشاه، ومن ثم فمن الضروري جداً أن يمنع جهال قبائل إيران من إعطاء هذه الذرائع للأجنبي، وليدركوا أن قطع الطرق والسرقة،

بالإضافة إلى كونه عمل قبيح ومذموم دائماً، يعد في هذا الوقت الحساس الذي تمر به إيران، خيانة لوطنهم.

والآن وبعد أن عُلم مدى تأثير كلام آيات الله حتى في قلوب مثل هذه القبائل المتهورة، فإني مفعم بالأمل أنهم لن يسكتوا عن الإدلاء بمثل هذا الكلام وأنهم سيتفضلون بإسداء النصيحة لمثل هذه القبائل، باستمرار حتى يتسنى لهم بالتدريج أن يفهموا أن قوتهم وشرفهم يكمنان في اتحادهم وانقيادهم وليس في الإفساد وايزاء الناس.

في هذه الأيام وصلت عدة كتب من إيران، سواء من الإيرانيين أو من الإنجليز، وقدم اليوم أحد المسافرين من تبريز، حاملاً بشرى، مفادها أن عدد القوات الروسية في هذه المدينة أخذ بالتناقص، حتى إنه قال: على الرغم من استحالة إحصائهم، إلا أنه يعتقد أنها لا تتجاوز الثلاثمائة أو الأربعمئة جندي، وأضاف بأنهم عمدوا إلى هدم بناياتهم التي كانوا قد أقاموها لهم في قزوين، وأخذوا يبيعون الأخشاب والصخور.

ويستشف من مجموع ما كتب أن حضرة نائب السلطنة يتصرف بمنتهى الحكمة والدارة، ولكن أحد المخبرين الإنجليز، وهو محب لإيران كثيراً وواقف على بواطن الأمور وحقائقها، يبدي أسفه لما يراه من حدية وتطرف في الأشخاص المؤهلين والوطنيين والمجربين والعاقليين، وما هذا التطرف وهذه الحدية إلا نتيجة لشدة حبهم لوطنهم ونفرتهم من الإدارة مع أهل الظلم، وهو يأسف لأن مثل هؤلاء كانوا بعيدون عن الساحة، خصوصاً جناب الميرزا حسين قلي خان نواب الفرسان سابقاً وزيراً للخارجية، والذي أرغم على الاستقالة بسبب مفارقتة للروس والشجاعة التي أبداه في مواجهتهم.

وقد كتب لي مراسل صحيفة التايمز، بصورة سرية — إن هذا الشخص كان منقطع النظر في شجاعته وهمته ونشاطه وسداد رأيه وسلامة عمله، ومما يؤسف له أن لا يكون مثل هذا الشخص عضواً في الحكومة، ولكنه كان هدفاً لبغض وكره الدولة الشمالية وسعت هذه الدولة في إزالته.

الأمر الآخر الذي أحببت الخوض فيه — إن لم يكن ثمة بجرؤ — هو وصول رسالتين — مؤخراً — من السيد حسن تقي زاده، الذي يعيش الآن منزوياً في إسلامبول، وإذا كان هنا لحين، فقد تعرفت إليه كثيراً، وأدركت بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة، مدى صدقه وسلامة عمله، ثم سمعت أنه تطرف بعض الشيء، وتعرض لكلام الناس وكُفّر. وعلى الرغم من إدراكي فيما بعد لعدم صحة هذا القول، إلا أنني كتبت إليه — للصداقة التي بيننا — إن يكف عن الحدية والتطرف، وعلى وجه الخصوص أن يساهم في دعم حضرات آيات الله الذين يركز عليهم أهل إيران، بل أهل الإسلام، وما قدموه من تضحيات في سبيل حث الوطن

معروف لدى الجميع سواء في داخل إيران أو خارجها. فكتب لي في جوابه:
 "إني مستعد لإطاعة وإجابة كل نوع من نصائحكم الخالصة بروحي وقلبي، وأتمنى
 عليكم أن تكتبوا لي — كمعلم مشفق — كل ما يدور في خاطركم الشريف، دون أدنى
 ملاحظة، فإن الله يشهد أنني أستفيد منها بكل إخلاص، والله شاهد أيضاً أنني لم أعمل منكراً
 وإذا كان قد بدر مني خطأ — رغم أنني لم أعرف هذا الخطأ مع كل دقتي — فلا يستحسن
 أن أجعل خلوص النية — التي هي كل ما أملك في هذا العالم — كفارة لهذا الخطأ.
 أسأل الله أن ينقص من مصائب إيران ويضيف إلى بلاياي، وأن ينقذ إيران بتعاستي الأبدية".
 والآن إذا كان ثمة شخص، على هذا القدر من حب الوطن والرغبة في مصلحته حتى ولو كانت
 تستلزم هلاكه وفناءه، ألا يكون مدعاة للأسف وجود مثل هذا الشخص معتزلاً في ركن قصي.
 لقد مضى شطر كبير من الليل ولا أحب أن أجهدك أكثر من هذا. إني أنتظر أوامرکم
 باستمرار وأدعو لدوام بقائكم الشريف.
 ، محب الخير لإيران إدوارد براون الإنجليزي. الأقل

نص جواب الآخوند الخراساني: ٣ رجب ١٣٢٩ النجف.

كامبريج: حضرة العالم الفاضل الدكتور إدوارد براون دامت إفاضاته وفضائله، يحيطكم
 مقام الرئاسة الروحانية للمسلمين الجعفرين علماً بما يلي:
 لقد طالعت بكل سرور رسالتكم الموقرة، وأمعنت النظر في جميع مواضيعها، وتلقت النصائح
 المشفقة والإرشادات الخالصة بكل اهتمام. وكانت ملاحظتها باعثاً لسروري وارتياحي.
 أعتقد أنه جرى توصية وتشجيع العشائر والقبائل وسائر الطبقات على حفظ الأمن وقطع
 الطريق على ذرائع المغتدين، وذلك من خلال البرقيات والرسائل، وعلى الرغم من كون
 أيادي الاستبداد والرجعية لا يفوتون الفرصة — مع التحريض الأجنبي — في تغليب عنصر
 الجهل، إلا أن الأوضاع الراهنة تدعو إلى الاطمئنان حتى نرى ما سيحدث فيما بعد.
 وأما فيما يتعلق بوزير الخارجية السابق السيد حسين قلي خان نواب والسيد تقي زاده
 وسائر الأصدقاء المحبين لإيران فإن الرئاسة الروحانية، على علم تام بها وعلى اطلاع
 بصلاحيتهما وخدماتهما، ولكن مع الأسف كانت هذه التغييرات لازمة قهرية من لوازم الثورة،
 وحيث أن الخادم سرعان ما يشته به مع الخائن، فإن مقام الروحانية لا يتدخل في مثل هذه
 الجزئيات ولكن مع ذلك نأمل أن تتدارك الأمور، وتوكل الأعمال إلى أشخاص لاثقين بها.
 والآن أكرر عواطفی الصادقة وأكتفي بهذا القدر.